مُناقشات

الحقيقة ليست جاهزة ..

من الواضح ان مفهوم الحقيقة لدى السيد محمود العالم يختلف عن مفهومي لها ، بل هو يناقضه . ويمكن تلخيص هذه المناقضة ، في جوهرها ، بمايلي: إن الحقيقة ، في نظر السيد العالم، جاهزة ، خارج انفسنا . في حين ان الحقيقة غير موجودة ولا معنى لها إلا بالنسبة الى الانسان ، وهي لا تتحقق إلا بمقدار ما يعرض الانسان نفسه لها . بل اكثر من ذلك: إن أغنى الحقيقة هي التي تستدعي اكثر ما تستدعي حضور الانسان وكليته : فكراً واحساساً وحرية .

إن الحقيقة الرياضية هي التي لا تطلب من الانسان الاحضور عقله. واحسب انه يجدر بالسيد العالم ، لفهم طبيعة الرياضيات ، ان يميز الرياضيات المحضة من الرياضيات المطبقة. والحق ان الشروط التاريخية للرياضيات تختلف عن طبيعتها الذاتية. ثم اني اعتقد من جهة اخرى ، فيما يخص الحقيقة التاريخية ، اننا لا نستطيع ان ندرك تعقدها الا اذا ميزنا مظهر حادث ماض عن معناه . فان المظهر قابل لتركيب جديد موضوعي ، اما المعنى فيتوقف على فهم المؤرخ وثقافته واهتماماته والاجوبة التي يبحث عنها في التاريخ .

واعتقد ان رد الفعل العنيف لدى السيد العالم اتاه من ظنه بان موقفي ، كما قال ، يفضي الى المثالية ، او في آخر المطاف، الى التشكك . والقضية في نظره قضية خطيرة، فيما يتعلق بالحقيقة الدينية. والواقع ان موقفي ليس هو موقفاً مثالياً ، بل هو وجودي . واعتقد ان الحقيقة الدينية، اعني التي تتناول وجود الله ، لا يمكن ان يدركها الا اشخاص يقبلون ان يفتحوا ذواتهم لله . فلئن كان الله موجوداً ، فلا يستطيع ان يفرض علينا حقيقته كعبيد ، ولكني احسب انه يفضل ان يتصل ببشر واقفين ، مستقلين ، احرار .

رينه حبشي

***

قضية الخصائص والقومية في الشعر

ترى اي لون ، وأي تعبير ، كانت تحمله تلك الابتسامة التي قفزت الى شفتي عقب قراءة التعقيب الذي ذيل به الاستاذ محمود امين العالم عدد الآداب الماضي ؟ ربما كان شيئاً كبيراً من الفخر ، وشيئاً كبيراً من الألم، هما مصدر هذه الابتسامة ..

وليس أدعى لفخر شاعر مثلي من احساسه بقدرته على تحويل الانظار الى ناقد مثل الاستاذ العالم ، وتحريكه الى حد الانحراف برسالته الانسانية الموجهة ، وجرجرتها خلفه داخل ظلمات الذات الفردية بمنازعها وأهوائها، وتأثراتها ، وتطويعه الى درجة تجمد الزبد الابيض على شفتيه الطيبتين!

وليس آلم على نفس شاعر مثلي ، من أن يجد نفسه مضطراً الى النزول في معركة يحمل فيها كل سلاح غير سلاحه الطبيعي ، ويواجه فيها أي خصم كان يجب أن يقف إلى جانبه ضد الآخرين !

الاستاذ العالم خير من يفهم هذا الكلام ، وخير من يعرف ان معركة الجديد والقديم غير هذه ، وان معركة الحقيقة المشعة ، والواقع المظلم ، ومعركة الاعداء والخصوم سوف تبدأ بعد ان يخرج من هذه المعركة الكاذبة على نحو ما !

والقراء يشهدون، اني كنت جد رقيق وجد كريم ايضاً ، في تلك الكلمة العابرة التي دافعت فيها عن موقف الشعر من مقال الاستاذ العالم .

ولا بد ان اكثر من علامة استفهام قفزت تبحث عن سر ذلك الانفعال المفاجيء الذي أرعش كل كيان الاستاذ ، فجعله يطوح بكلتا يديه ، في كثير من المعاناة، صارخاً في وجه الفيتوري بهذه الاتهامات المردودة: انك كاذب (تخدع نفسك، وتخدع قراءك) وأنت مأزوم (تعيش داخل مأساتك الخاصة) وانت خائن (لا تستحق شرف الدفاع عن الرجل الاسود) وانت دعي في الشعر (تمضغ بعض المعاني العامة ، وتستجلب رحيقها استجلابا) بل ان شعرك نفسه تنقصه كل مقومات الشعر (الصحة ، والتوهج ، والصدق) وانت وريتشارد رايت زميلك ، كلاكما جاهلان اذ لا تدركان (ان المسألة ليست مسألة ابيض واسود) وان (ليس هناك ما يسمى بالقومية الافريقية) وتاريخ الكفاح البشري يؤكد ان السود في افريقيا كالمستعمرين سواء بسواء (فافريقية ليست موطناً للرجل الاسود) !

ذلك بعض ما تضمنته مقالة الاستاذ الناقد من شتائم ، ودعاوى ، وقراءات ، ولذلك ، ولكي لا أدور في مدار الاستاذ ، فسأضطر الى تناول هذه القضايا من جديد !

أشرت في كلمتي تلك ، الى ان الخواص الست التي زعم الاستاذ العالم اكتشافها في الشعر الذي عناه ، والشعراء الذين سماهم ، هذه الخصائص الست موجودة في الشعر العربي الحديث كله، والشعراء المعاصرين على وجه العموم، فمن المضحك أن يقال انها خصائص الشعر المصري الحديث ، ومن المحزن أن يتحلها ناقد لنفسه ، بينما هي خواص عامة مدركة ، يهتدي اليها كل ذي بصيرة ووجدان ، وان كان الانصاف يقتضينا ان نسجل للاستاذ العالم فضل الاسبقية في التنسيق !

ومجرد نظرة واعية الى مجموع انتاجنا الشعري في الخمسين سنة الأخيرة، تغمرنا بعديد الامثلة والنماذج ، وترينا الى اي مدى وجدت هذه الخصائص في الشعر المصري عند محمود ابو الوفا، ومحمود حسن اسماعيل ، وعبد الحميد الديب ، وفي الشعر العراقي عند عدنان الراوي ، وكاظم السماوي ، والجواهري العظيم ، وفي الشعر السوداني عند التيجاني بشير وبازرعه ، وعند شعراء المهجر ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين ..

تعمدت أن اضع هذه الخطوط على هذا النحو ، بعد ان أعلن الاستاذ العالم تخليه عن احتضان القضية الشكلية كشيء ذي قيمة في الشعر الحديث .

وهنا لا بد من ان نترك لمراجع الاستاذ ان تجيب عما اذا كان يمكن اشتراك اكثر من شيء واحد في الخصيصة الواحدة ، ثم تظل تحمل اسم الخصيصة ، هذا التعبير العلمي الدقيق ؟!

لا أريد ان الوك كلاماً قلته من قبل ، غير اني أود ان ألمس يد الاستاذ منحرف الجانبية في منهجه ، موضع انزلاق القاعدة من قدميه، نقطة تذبذب ميزانه النقدي الى حالة السقوط ..

وهنا لا بد ان تتجعد جبهة السيد العالم ، وان يتراقص هذا السؤال على شفتيه : (كنت اتمنى ان يقف هنا السيد الفيتوري .. ليقول لي لا ..هناك خصائص اخرى على النقيض من هذه الخصائص) !

والحق ان (لا) هذه رقيقة كريمة ، والكلمة التي يجب ان تقال سأدعها الآن الى ما هو اجدر ، الى قضية الخصائص .

ولتحديد خصائص ظاهرة ما ، تحديداً علمياً امينا ، ينبغي النظر اليها

من كافة زواياها ، ومنحها جميعاً امكانية التعبير عن نفسهـــا ، والا فتشويه الحقيقة واقع لا محاله ..

ومن اجل هذه الحقيقة ، يجب علينا ان نتغاضى عن كثير مما نؤمن به في العلم ، وكثير مما ننكره في الشعر ، ونحـــن ننقصى خصائص الظاهرة الشعرية في مكان ما .

ولو استطردنا في ذكر الاسباب والدوافـــع التي ولدت الظاهرة ، أو ساعدتها على التبلور ، والاعلان عن ذاتها بأسلوب معين ، فلن نتمكن من مناقشة جميع النقط الهامة التي طرقها الاستاذ ، ولذلك فسنكتفي بذكر بعض الخصائص التي نراها نحن قاصرة على الشعر المصري الحديث .

الخاصية الاولى: بساطة الصورة التعبيرية عند الشاعر المصري، وتركيزها، كأثر حتمي لحيـــاة الكفاح اليومي التي تعيشها الطبقة الثالثة كما في شعر صالح الشرنوبي :

واذا الكرى نادي الخليينا فأجبته ، وهجرت نادينـــا
قالوا نأى من كان يسلينـــا فأقول بل من كان يبكينا
ويحيل أحنانـــا كقاسينا ويثير في نفسي البراكينـــا
وأظل أبخس منك يا أختي
وتقول أمي حـــين تلقاك يا ليت قلبي ما تمنـــاك
اوليت مهدك كان مثواك لك في بنات الحي أتراب
عرسانهن لهن احبـــاب فـــاقول والمقدور غلاب
الحظ خانك انت يا أختي

الخاصية الثانية : تصوير اللفظة العربية ، وتمثلهـــا لخصائص المناخ والبيئة المصرية ، ونحس ذلك في شعر محمد الهمشري :

خيم الصمت في الظهيرة الا من غطيط يغشي ذرى الازهار
انه النحل باعثاً من غناه ، وهو يجني الزكاة للنوبهـــار
وغفا الهدهد المصلي، وآوى جندب الروض في ذرى الاجحار
غير ترديدة الهديل ، تروي مثل حزن على الظهيرة ساري
ضمخ الصمت من شذى الحلفاء، والاريج الشمسي ملء الجواء
وزهور اليقطين تسكب فيضاً من لهب ، ومن غطيط غناء
كقصاير جنة نزلتهـــا فئة تستريح غب عنـــاء ..
عبرت موطن الهديل ، وجاءت بالذكي الساجي من الانباء

الخاصية الثالثة : شيوع روح المرارة والسخرية فيه نتيجة لاحساساتـــه الثورية المكبوتة ، وتلمس ذلك في شعر عبد الحميد الديب :

كلوا الحكومة، أوموتوا من الجوع صوت الضعيف المرجى غير مسموع
من حرموا اللحم في الاسبوع اربعة هل كان في طوقهم زيـــد لتشريع
حكومة الفقر والحرمـــان قبلهم قد حرمته علينـــا ألف أسبوع

الخاصية الرابعة : خلود روح الحزن والبكاء في موسيقاه ، حتى الراقصة منها ، كما هو متضح في شعر ابراهيم ناجي :

يا ايها الهارب من جنتي تعال، أو هات جناحيا
نبكي شبابينا، ونبكي المنى ونرتمي بين ذراعيا

الخاصية الخامسة : تعانق الرومانسية والواقعية فيـه ، مما لا يعطيه طابعاً مذهبياً محدداً ، كما في شعر كمال عبد الحليم :

كنت أهوى ، وانني اليوم اهواها، وتدوي بصوتها أركاني
انا بي لهفة اليها ، اليها ، وحنين لهـذه الالحان ..
قربوا طيفها ، وهاتوا غناها ، فهي سحر العيون والآذان
وهي حريتي التي اتمـــنى ، وهي سجن محبب القضبان

الخاصية السادسة : تحرك الخرافات والتقاليد المحلية فيه ، ونجد ذلك في شعر كمال نشأت :

همست في صوت لونه ، فرح الاطيار على الشجره
العيـــد صباح الاثنين ، اني للعيـــد لمنتظره
سأطوف ، أطوف مع الركب، وأهنىء حكام البلده
فأبي في العيد سيصحبني ، او ليس أبي عم العمده
وأخي سيجيء ، ويمنحني ثوباً في لون البرسيم
وفطيراً يصنع في البندر ، والتمر ، التمر الابريمي !

الخاصية السابعة : انعكاس نفسية الشعب المصري القدرية ، بأشكالها المختلفة كالصبر ، والرضى ، والطيبة ، ويتمثل ذلك في شعر فوزي العنتيل :

وسمعت قصة الف عام لم تزل تطوى ، لتنشر في الشتاء القادم
عن ليل هرون الرشيد وقصره المصبوغ بالعطر الندي الهائم
وعن المصابيح الملونة العيون ، ترش بالاحلام بيت الحاكم
ومدينة تحت الثرى مطمورة ذهبية الحيطان والابهـــاء ..
وغداً سنأخذها لنملأ بيتنا قمحـــاً نكرسه بغير عناء ..
وسأشتري ثوباً جديداً ناصعاً ، واهتز شاربه من الخيلاء

تلك مذكرة مضغوطة لخصائص الشعر المصري كما نراها نحن ، أمـــا وحدة القصيدة ، والتعبير بالصورة ، والثورة ضد الواقع الاجتماعي الشائه، والمشاركة الفعالة في عمليات الكفاح الجماعي وغيرهـــا من الخصائص التي أرخ لها الاستاذ العالم ، فذلك مما يندرج تحت خصائص الشعر العربي الحديث بعامة .

ولعلنا بعد ذلك ندرك السر في اغفال الاستاذ العالم لـ(كثير من الشعراء على جودة شعرهم) ذلك لا (لأنهم لا يضيفون جديداً الى فهم الظاهرة) وانما لانهم لا يتيحون له ما هدف اليه من (إقامة ظاهرة ذات جانب واحد) ولو كان ذلك على حساب تشويه احساسات الشعراء المصريين ، ومسخ الحقيقة التاريخية المتطورة فيهم .

ولا بد قبل الانتقال الى القضية التالية ، من تعرية تلك المحاولة التي أراد بها الاستاذ العالم تبرير موقفه من الخميسي ، متناسياً انه هو – العالم شخصياً – (بدأ شاعراً منفصلاً عن الحياة) ولم يمنعه ذلك من العودة الى الناس ، والمشاركة في واقعهم، مشاركة ما ، واما الادعاء بأن قصائد الخميسي الجديدة، لا زالت بيتية تقريرية ، فنحن مع احتقارنا الشديد للقضية الشكلية ، والاحكام المترتبة عليها ، نرفضه لمجانبته لواقع الخميسي الشعري، ومخالفته لقانون التطور الذي يمثل دعامة نظرية الاستاذ ، ولو اعاد الاستاذ العالم نظراً الى الشعر الذي سجله لكمال عبد الحليم ، كنموذج عـــلى (الشعر المثالي) حامل الخصائص الست، وأعاد نظراً الى الشعر الذي خلد فيه الخميسي محنته، لتبين له أي تجن يحمله ضد الحقيقة ، وضد الواقع ، وضد التاريخ ، وسندع لقراء الآداب مهمة « تقييم » قيم الاستاذ الذوقية والمنهجية ، بعـد ان نضع امامهم شيئاً يسيراً من شعر الخميسي ، الذي خجل – ولا نقول جبن – ان يعترف به الناقد الكبير :

اني انتظرت صبيحة الاثنين
ان تحضري لزيارتي يا عيني
يا نور قلبي في ظلام السجن
لكن مضى يومي ، ولم يخرجني
من ظلمة الزنزانة السجـــان
طول النهار معذب الوجـــدان

متعلق العينين بالقضبان
في كل وقع خطى اقول أتاني
داعي الزيارة ، ثم بعد ثواني
يفنى الرجاء ، وتطبق الاحزان
حتى اذا السجان صاح حيالي
« الشمس راحت » قلت يوم تالي
من عمر القائي الى الاغلال
وأفقت يا أملي على أحمالي
والى افتراش الارض وهي صوان!

مهلاً يا سيدي الاستاذ العالم ، ان حديثنا لم ينته بعد ، بل انه لم يبدأ بعد ، فلنحاول ان نواجه الحقيقة بشجاعة أكثر ..

القضية الكبرى ، هي قضية الاسود الواقف على الارض ، والاسود المرتكز على السماء ، وهي نفس قضيتك (الابيض والابيض ، والاصفر والاصفر) أنت تقول ذلك ، وأنا لا أقول بغيره ، وكل الفارق بيني وبينك ، أعني بين فهمي وفهمك ، ولعله بين تاريخي وتاريخك ، هو أنك تريد أن تبدأ بقضيتك الكبرى ، التي هي الكبرى والصغرى في آن ، بينما أريد أنا ان أبدأ بقضيتي الصغرى ، فان لي قضية صغرى ، ليست لك ، اي انك لا تستطيع ان تتمثلها ، ولو تمثلتها فلن تحسها ، لا لأنك انسان ناقص ، وانما لانك انسان كامل ، لأن وصمتك القديمة مادية اولاً وثانياً ، بينما وصمتي القديمة معنوية اولاً ، ومادية ثانياً .. اجزم انك لن تفهم هذا الكلام ، ولن تحسه ، فلا تعن نفسك كثيراً ، انني لن اطيل مناقشتك ، ولكني فقط سأعلنك انا — نحن السود — بحاجة الى سيكالوجيين أولاً ، ثم سيأتي يوماً ما دور مباضعك ايها الجراح العظيم !!

وحتى الآن فأنت محق في موقفك من الفيتوري ، وريتشارد رايت ، وجوموكينياتا ، وروبنسون ، وكل الزنوج ، وان تحسب انهم — اننا جميعاً — عندما نتكلم بلغة انسانيتنا (نعمق المأساة ، ونطمس حقيقة الصراع ، ونوجه المشكلة توجيهاً لونياً انفعالياً مريضاً) أجل انت محق ، فانك تطبق قاعدة نحن نعيشها ، ونحاول ان تدخل معركة نحن نصلاها قبل بدء التاريخ !

إغفر لي يا سيدي العالم ، اني انفعلت ، فهكذا خلقت ، ويكفيك اني صادق في انفعالي ، واني محق فيه ايضاً ، فانا زنجي ، وانا شاعر ، وانا صاحب حق ، وان كنتُ أنا لن اغفر لك انفعالك لانك لا تحمل شيئاً من هذه المؤهلات !

كلمتان اثنتان لم أقلهما بعد :

اولهما : ان ناقداً مثلك كان يجب ان يعرف ان دور « سحق الشعور بالوحدة الوطنية » لم يجيء بعد ، ان كنت لم تفهم ما أعني ، فأفهم اننا أمة ، قومية مضطهدة ، مهددة بالامتصاص ، ولكي تتركز نحو هدف واحد ، يجب أن تجتمع حول شعور واحد ، هو هذا الذي ندعو اليه .

أتفهم ما أعني ، أم لا زلت مثبتاً أنظارك في رأس الرواية ؟

والكلمة الأخيرة ، هي ان شرف الثقافة ، وشرف النقد ، يتحديانك ان تثبت — ولو ببيت واحد من شعر الفيتوري — كيف تعده امتداداً لمدرسة ناجي ، وكيف يلتقي الاثنان في اتجاه ذاتي عام ؟! والا فالتبعة ليست على كاهلك ، ولكنها على كواهل النقاد المتقاعدين !

القاهرة — **محمد الفيتوري**

***

قضية الفيتوري

أكاد أجزم أنني لم أقرأ هذا العام نقداً للاتجاهات الفنية المعاصرة ، كما قرأت من مقال الاستاذ « محمود امين العالم »

إلا أن لي ملاحظات ثلاثاً على رأيه في الشاعر الافريقي : « محمد مفتاح رجب الفيتوري » أوجزها فيما يلي :

أولاً : أنه وقع تحت تأثير بعض الالفاظ الاستفزازية التي ساقها الفيتوري مثل « انه يتخذ مقياساً فكرياً لا موضوعياً يمكن ان ينكمش ويتمدد » واتهامه « بالتحيز والعجلة واللامبالاة » وأن ميزان النقد قد ضل في يده ».

فأسرع الاستاذ العالم « يرصّ » له : « لم يصدر الفيتوري في حكمه عن أي صدق فكري » وانه ذو « حس منهجي فاسد » و « اكاد اجزم وأنا مطمئن ان السيد الفيتوري لم يقصد مناقشة هذه الامور جميعاً مناقشة جادة مخلصة وإلا لحرص على الارتكاز على اسس لها تفصيلها من الصدق والموضوعية » أي ان الفيتوري يعتمد على اسس كاذبة ولا موضوعية !! و « الفيتوري يخدع نفسه ويخدع قراءه » و« ليست إفريقيا والافريقيون إلا اسقاطات زائفة لصراع داخلي لا يعرف كيف يتخذ له متنفساً صحياً » وهذا كلام يمكن ان يقال عن كل الشعراء السودانيين وعلى رأسهم جيلي وتاج وفارس. اما خداع القراء فيمكن أن يلصق كاتهام بكل الفنانين الشرفاء وقد جربت هذه التهمة في نفسي ، وعشت فيها وقتاً قصيراً هو آلم فترات حياتي ..

وأخيراً يعتدل الاستاذ العالم ككبار القضاة ويشير بأصبعه كأنما ليصدر حكم الاعدام ويقول للشاعر الثوري المجيد « محمد مفتاح الفيتوري » «إنك لا تستحق شرف الدفاع عن الرجل الأسود » .

فمن ترشح يا سيدي للدفاع عنا بعد أن أجهزت على شاعر كان يغني لنا:

جبهة العبد ونعل السيد — وأنين الأسود المضطهد
تلك مأساة قرون غبرت — لم اعد اقبلها لم أعد

***

افريقيا ، افريقيا استيقظي — استيقظي من حلمك الأسود
قد طالما نمت ألم تسأمي — ألم تملي قدم السيد

والأستاذ العالم معذور إذا كان الاستفزاز يؤدي به إلى كل هذه الهتافات .. ولكننا لن نعذر العالم الناقد البناء الشريف ..

ثانياً : انه ذكر أن شعر الخميسي الاخير الذي انشده في الظروف التي نعرفها « ما تزال أبياته تقريرية ولم يستفد بالقيم الفنية الجديدة كالتعبير بالصور والبناء الداخلي » .

وأنا ارى في قصائد الخميسي الأخيرة غير هذا الرأي .. فالقصيدة التي يقول فيها « وقفت كمصر إطراقاً وذلا » لا يعبر فيها بالكلمات بل بالصور الجديدة المشحونة بالدفقات الانسانية .

أما أن يكون في التمسك بالقافية والوزن ذريعة لشطب الشاعر من قائمة الشعراء الذين لهم سمات الشعر المعاصر فهذا حصر للشعراء في زاوية حرجة .

ثالثاً : بقيت حقيقة أخيرة أن الأستاذ العالم اعتذر عن عدم ذكر شعراء كثيرين في بحثه بأنه كان « يحدد الخصائص الرئيسية لظاهرة التعبير الشعري المصري » فنحن نشكره على منحه الجنسية المصرية للاستاذ الفيتوري ، فقد عرفناه في ماضي حياته سودانياً ...

ولي كلمة في نقد الأستاذ العالم للشاعر الافريقي محيي الدين فارس فأنا لم أفهم — من الاستاذ العالم بالذات — « وحركة الصور في القصيدة باطنية بحتة يعبر عنها ظرف المكان «هنا» وهو ظرف مكان نفسي في الحقيقة» .

لم أفهم لأن العالم عودنا الدقة العلمية في نقده ..

ثم لا أوافقه في قوله« إن شطر البيت « ولست أملك ما أريد » للشاعر محي الدين فارس هو تعديل لبيت قديم للشاعر « محمود ابو الوفا » .

فلم يعد النقد في ايامنا عزلا لخلية أو نسيج من الجسم ثم مقارنته ببيت لشاعر هنا او شاعر هناك .. وأظن ان الدافع الذي دفع الاستاذ العالم إلى ذكر اسم الشاعر محمود ابو الوفا بجانب شاعر لامع كالاستاذ محي الدين فارس هو محاولته إحياء التراث الشعري وتذكيرنا بالشعراء المغمورين الذين طواهم النسيان سواء كانوا احياء او موتى . ومرة اخرى لا أرى ان « ولست املك ما أريد » كما قال الاستاذ العالم « لا يتفق إطلاقاً مع الحركة الداخلية لتفتح البرعم النفسي للقصيدة » فقد كانت سيمفونية « بيتهوفن » – وقد كان لي شرف سماعها مع الاستاذ محي – تصور لنا صراعاً فردياً للسمو والتخلص من ادران الارض .. وكانت في الموسيقى وثبات إلى أعلى ثم جذبات كأنما هي جذبات الارض وكان شاعرنا – مع بيتهوفن – يحاول الصعود إلى قمم كثيرة نحب ان نصعدها صعوداً جماعياً .. فتشده الظروف المحيطة بنا فيردد « لست املك ما اريد » وتنبعث أصداء لهذه الكلمة « وإننا معاً نستطيع أن نملك ما نريد » . وإنني في كلمتي لا اقف من الجانب المواجه للاستاذ العالم.. فنحن شعراء الواقعية – سواء منا الذين ينشرون أو الذين لا ينشرون – نرى في الأستاذ العالم أخاً كبيراً يدعم جماعتنا بانسانيته وثقافته وإخلاصه لقضية القلم والفكر والحرية ..

القاهرة **ابراهيم شعراوي**

من اسرة الفن الحديث

***

الشعر الارض ...

ليس ما أوجهه الى السيد العالم في هذه الأسطر القليلة – التي لا أحب ان تشغل أكثر من الحيّز الذي يستحقه رد على نقد من مجلتنا ، وكل حيّز فيها له قيمته – رداً بالمعنى الصحيح . فليس في نقد السيد العالم لمقالي عن « الشعر الارض » ما يدعى نقداً ، إلا هذه الحفنة من الأحكام السريعة ، التي تنحدر من سوء الفهم الى حد الاهانة احياناً .

كنت اود منه لو دعم كل حكم من احكامه ببرهان واضح. فلا يجتزيء المقال في بعض جمل منه ، تفرز عنه فرزاً معتبطاً عشوائياً. فكيف يكون المقال دعوة الى مباشرة تجربة الانسان الواقعي ، ومع ذلك فهو تجربة مطلقة منفصلة – على حسب تعبير الناقد ؟ –

ومن المؤسف حقاً أن يفهم الناقد عكس ما يراد من المقال تماماً . فاذا كان إدراكه العميق له قد انبأه انني اتحدث عن انسان خرافي ، بينما يمكن لكل متفحص لكلامي ان يعلم انني احارب مثل هذا الانسان وخاصة في موضوع الشاعر ، فلا بأس بعد هذا من أن يكيل الموضوع ما شاءت له الفاظ لا تعرف ما تريد غير الحط من كرامة الفكر ، وكل محاولة لتعميق الادب .

وكأنه وقد أمسك ببعض الالفاظ كالحدس والمسؤولية والحرية ، أمسك حقاً بعنق المقال والزمه حتفه ، فليس فيه جديد . لأن هنا كروتشه والوجودية في افكار ضعيفة غير واضحة !..

إن ثقافة الناقد يبدو انها لم تقل له أن كلمة « الحدس » ليست ملكاً لكروتشه وحده . وهل نسي الحدوس الحسية عند (كانت) . وحدس الحياة عند برغسون . وهل يجهل أن هذه اللفظة كلمة عادية في القاموس الفلسفي والنفسي والأدبي التحليلي ، وأنها ملك لحاجة القلم والتعبير ، وانها قادرة دائماً على استيعاب معان جديدة وأبعاد فكرية خاصة ؟

ثم ما الضرر من أن نورد في مثل هذا المقال الذي يعالج التزام الشاعر والأديب آراء أهم المدارس المعاصرة اليوم التي تتعرض لهذا الموضوع الهام كالوجودية مثلاً ؟

ثم هل قلت أنا ان الشعر الحقيقي لم يوجد بعد بينما القصة وجدت ؟ عد الى المقال يا سيدي تر أنني نوهت بمشكلة الشعر وتأخره عن مجاراة القصة في الادب العالمي وفي ادبنا الحديث نحن اليوم . ولا يناقش مطلع في مثل هذه البديهية .

وكلمتي الأخيرة اوجهها الى (الآداب) ذاتها .

الحق أن هناك مجالاً كبيراً لمناقشة مشروعية هذا الباب « قرأت العدد الماضي » . فأولاً : كل عدد يحوي الشعر بأنواعه والقصة والفكر . ولا بد أن يكون الناقد مختصاً أو متذوقاً لواحد منها وليس لجميعها دفعة واحدة.

ثانياً : إن متابعتي لقراءة هذا الباب أشعرتني دائماً بالموقف المصطنع الذي يلزم به الناقد الزاماً خارجياً دون مبادهة شخصية منه . والمبادهة لا توجد إلا تلقاء موضوع أو نوع من الموضوعات .

ثالثاً : ونتيجة ذلك يكون التسرع والاعتباط والتشويه في الدراسة، التي ليست دراسة – لانه لم يدلني تاريخ النقد على عبقرية فذة يمكن ان تنقد كل انواع الادب وبهذه السرعة، وبهذه الاحكام – وفي التقدير الشخصي.

رابعاً : لم يأت نقد في هذا الباب في أي من أعداد « الآداب » يحمل طابعاً علمياً .

وذلك لان كرامة العدد كله توزن من وجهة نظر شخصية لا نعرف مقدار تجردها وقدرتها على التفاعل مع هذا الكل من الأدب والفكر .

ووجهة نظري في هذا الباب تقوم على تركه مفتوحاً أمام النقاد دون تعيين . فيكتب أحدهم ما يخص موضوع اهتمامه وعن مبادهة منه لا الزام فيها وبالتالي لا اصطناع وتشويه .

دمشق **مطاع صفدي**

***

هذا النقد « الحديث » !!

كنا نأمل أن تحيل مجلة « الآداب » عددها الشعري إلى ناقد من نقاد الشعر المعروفين ليقرأه فيعلق عليه بما ينصف به كل من ساهم في هذا العدد الممتاز . ولكنها ، لسبب ما ، أحالته إلى الأستاذ رئيف خوري ، وهو – في رأيي – ليس من نقاد الشعر البارزين . والأستاذ رئيف خوري اديب كبير وإني به لمن المعجبين . ولكنه كما قال عن نفسه « له في كل عرس قرص – (أو في كل مأتم ميت كما نقول في العراق) – في النقد الأدبي ، والقصة والمقالة السياسية ، والاجتماعية ، والشعر أيضاً » . فقابليته متوزعة هنا وهناك ، فهو ليس بالناقد المبرز والقصاص المبدع ، ولا الشاعر الكبير.. وإن كان – بمجموعه – أديباً كبيراً. وهو لم يزاول نقد الشعر إلا مزاولة نظرية . وأعني أنه اعطانا مفاهيم ومقاييس في الشعر ، ولكنه لم يطبقها على شعر شاعر بذاته أو شعر جلة من الشعراء . وحاول ان يطبق هذه المقاييس وتلك النظريات على شعر العدد الشعري من الآداب فأخفق . وليعذرني الأستاذ الخوري وليعذرني القراء ايضاً إذا وجدت من المتعذر علي أن أطلق وصف « ناقد للشعر » على من يقرأ قصيدة (الناس في بلادي) للسيد صلاح الدين عبد الصبور فيعجبه منها « انتباهه – أي السيد

عبد الصبور – للأمكانات الكامنة في وزن الرجز التام والمجزوء » ...دون أن يحس بوجود اثني عشر شطراً مختلة الوزن في قصيدة من أربعين شطراً: فقد عطّش السيد عبد الصبور الياء في البيت الأول من قصيدته :

الناس في بلادي جارحون كالصقور .. ثم أعقبه بهذه السلسلة :

(١) وطيبون حين يملكون قبضتي نقود .
(٢) ويطرقون .
(٣) وهذه الجبال الراسيات عرشك المكين .
(٤) وأربعون غرفة قد ملئت بالذهب اللماع .
(٥) وفي مساء خافت الأصداء جاءه عزريل .
(٦) ومدّ عزريل عصاه .
(٧) وفي الجحيم دحرجت روح فلان .
(٨) ووسدوه في التراب .
(٩) لم يبتن القلاع (كان كوخه من اللبن) .
(١٠) من يملكون مثله جلباب كتان قديم .
(١١) ومد للسماء زنده المفتول .

أما عن « انتباه » السيد عبد الصبور للأمكانات الكامنة في وزن الرجز التام منه والمجزوء فالأحرى بالاستاذ الخوري أن يرجع إلى العدد السادس من (الآداب) عام ١٩٥٤ فيقرأ (أحد والحرية والربيع) للزميل الشاعر الاستاذ كاظم جواد و (انشودة المطر) لمكاتب هذه السطور ، وكلتاهما من وزن الرجز التام والمجزوء مستغلاً خير استغلال !! والأغرب من ذلك أن الاستاذ الخوري لم ينتبه لـ « انتباهتنا » !! – أنا والاستاذ كاظم جواد – إلى امكانيات الرجز في العدد الشعري ذاته !!

ولم يلتزم الاستاذ الخوري في نقده لقصائد العدد الشعري نهجاً معيناً من النقد . فهو تارة يهتم بلفظة معينة في قصيدة ما ، تاركاً ما عداها . وهو تارة يهتم بالموضوع وحده فيتهم شاعراً – كالقباني – بـ « الحطة » .. ناسياً انه مكلف بنقد الشعر لا بنقد اشخاص الشعراء . ورأينا الاستاذ الخوري يأخذ على الشاعر الأفريقي المبدع الاستاذ الفيتوري وصفه الحلم بالعاطفي دون ان يأخذ على الآنسة نازك الملائكة وصفها الحليب بـ « الترف » – من رأى حليباً ترفاً أيها الناس !؟ – أو قولها – وهي تخاطب القمر [المضيء] : يا فضة كالضياء لينة !! مفترة الماء بالماء .. عدا تكرار التشابه والأخيلة والتنافر في الصورة الشعرية الواحدة . هذا إذا لم نثر على من يحابي شاعرة تعيش في القرن العشرين وتكتب مثل هذا الشعر الذي يأباه حتى القرن الثامن عشر لنفسه !

وهو يعجب بلفظة « انداح » في قصيدة السيد عبد الحميد عيسى ، بينما يهمل العناصر المهمة ، التي تكون الشعر الحق ، في قصائد عدة لا يمكن لقصيدة السيد عيسى أن تطمع بالوقوف حتى في ظلها . ويبخل على الشاعر القومي المبدع الاستاذ سليمان العيسى بلفظة استاذ او شاعر في حين يسبغها على من هم دونه كثيراً . ثم يقول انه لا يجد مبرراً للتكرار الموجود في قصيدة الاستاذ كاظم جواد (الشمس تشرق على المغرب) « يناديك ، يناديك ، يناغيك ، يناغيك » في حين أني اراه موفقاً غاية التوفيق في هذا التكرار الذي كأنه رجع الصدى لعاشقة تنادي حبيبها بين التلال وفي الوهاد . وأين النشاز في انتقاله من وزن الهزج إلى الرجز بعد تلك الوقفة – التي تشبه الصمت الموسيقي – التي لا بد ان تعقب هذه الحشرجة«سنقتص، سنقتص ، سنقتص » .

وأخيراً يجيء دوري !! إني على ثقة من ان ما قرأه الاستاذ رئيف خوري من شعري لا يسمح له بأن يقول « الا أنه حين يحاول التهوض بما يعرف انه الواجب تخونه مقدرته . فيحس قارئه انه قصد الى شيء اروع وأتم مما استطاع إلى تحقيقه سبيلاً ، فقد ترك شيئاً كثيراً وراء ما قاله لم يوفق إلى قوله » . فهل قرأ الاستاذ الخوري « حفار القبور » و « الأسلحة والأطفال » و « المومس العمياء » و « انشودة المطر » و « المخبر » ؟ وسواها وسواها من القصائد الطويلة والقصيرة ؟ لقد كنت، إلى وقت قريب، أبرم بنفسي لأني أستفيض في الموضوع الذي أعالجه ، فأقول كل ما عندي. لأن الشاعر الحق هو من يقول خير ما عنده لا كل ما عنده أو كل ما يمكن ان يقال . ومن هنا اكد كبار النقاد على الضبط Control وعدوا جموح الخيال عيباً. إن الشاعر الحق هو الذي يشعرك بأن لديه اشياء أخرى لم يقلها . وهو لم يقلها لا لأنه « لم يوفق » إلى قولها ، ولكن لانه يعتبرها من نافلة القول . وكيف يستطيع الاستاذ الخوري أن يقول عن مقاطع متناثرة من ملحمة ما زالت قيد الكتابة (رؤيا فوكاي) : « ان الموضوع حتى في هذا المقطع ليتحمل أكثر كثيراً مما اخرج لنا » ؟؟ إنه شيء بدهي أن الموضوع يتحمل اكثر كثيراً مما قلته في هذه المقاطع وإلا لما جعلت مأساة هورشيما موضوعاً لملحمة سوف تستغرق مني سنوات . ولكن : أيعزو الاستاذ رئيف ذلك إلى أني « لم أوفق إلى قول » هذه الاشياء الكثيرة ؟ وأقولها كرة أخرى أن عيبي هو الاستفاضة لا ترك اشياء كثيرة يمكن ان تقال دون ان أقولها . وكان الواجب يحتم على الاستاذ رئيف خوري أن يعقد مقارنة بين القصائد المنشورة في العدد الشعري ، فيقيم كل قصيدة بالنسبة إلى مفهوم الشعر بأوسع معانيه وبالنسبة الى القصائد الاخرى. هذا هو النقد الصحيح و « القراءة » الصحيحة لا النقد الذي ينال مما هو عظيم ويرفع مما هو صغير ، ولا القراءة التي لا تنتبه إلى اثني عشر بيتاً (غير موزونة) – كما نقول في العراق – في قصيدة واحدة لشاعر يضعه بعض إخواننا المصريين في طليعة الشعراء المجددين !! لقد جنيتم حتى على كلمة « تجديد » !!

وللأستاذ الكبير رئيف الخوري تحياتي وإعجابي .

بغداد **بدر شاكر السياب**

***

رأي في الشعر الملتزم

ثمة ظاهرة تستلفت النظر ، برزت على صفحات « الآداب » بصورة لم تبرز كمثلها على صفحات اي مجلة اخرى في المدة الاخيرة ، واعني بها هذا (التنافر) العميق بين آراء الكتاب والنقاد حول مسألة النماذج الفنية في الادب الملتزم الحديث .

ما السبب ؟.. يقولون اننا على ابواب نهضة ادبية تتيح لهذا التفاوت والتنافر ان يتسربا الى عالم الآراء . حسناً ، الا انني حقاً المح استبعاد بعض الكتاب الافاضل « حذر » القارىء الجديد من امام اعينهم عندما يتناولون عملاً ادبياً ، ولكنهم سرعان ما يتكشفون له – للقارىء – عن ذوات تعمل فيها عوامل متعددة : التربية الاجتماعية، المصادر والمنابع الثقافية – علمية او غيبية ؟ – المرتبة التي ترعرعوا فيها ، واخيراً العقيدة السياسية، او بصورة موجزة ما تؤدي اليه قولة الشاعر ناظم حكمت : ما انا الا انعكاس لهذا العالم. ولكن هل بلغنا حقاً افق الصراع بين المباديء والقيم؟

الجواب عندي هو كلا ... بالرغم من خطورة تلك المؤثرات في الحياة البشرية ... والتي يتميز بالتأكيد عليها الاسلوب العلمي الجدلي في التحليل .

انني اكاد اجزم ان الصراع بين الافكار والمبـــاديء المتعلقة بالسبل المؤدية الى تطوير حياتنا العربية ، والتي ترتفع بالفن الادبي الى المستوى العالي للفكر قليلة الحدوث ، اقول قليلة الحدوث لانني لا استطيع ان الغيها بالمرة . ولكن كيف السبيل الى الخروج من هذا التناقض ، من تناقضي الظاهر على ما يبدو ، بين يقيني بأهمية المؤثرت التي المعت اليها ، والتي تعمل عملها الحاد في كل اديب من دون ارادة منه اول الامر وخلال صراعه مع الجميع لاخضاع الطبيعة،وبين انكماش هذه المؤثرات عن اعطاء اي محصول فكري في ميادين الصراع بين المذاهب والافكار ؟

السبيل الوحيد عندي للخروج من هذه الحلقة ، لا الى الغـاء المشكلة ، هو انه لا المشاكل الاجتماعية ، ولا الشخصية الادبية الانسانية الخـاضعة لمحصلة قوى تلك المؤثرات ، ولا القضايا الفكرية بصورة عامة قد بحثت تحت اضواء هدي احدى الفلسفات .. اي فلسفة كانت تتميز بطابعها الكلي في نظرتها الى الكون والحياة والانسان ، وبهذا ستظل مناقشاتنا الفكرية في مسائل الادب بعيدة عن ذلك الاطار ، وستظل الى حد بعيـد منصبة على الزوائد العرضية ، لا على النسغ الحي الاصيل لسنديانة الفكر المارد.

اكثر الاحكام التي تصدر على الادباء . من خلال نمـاذجهم الادبية ، تفحاشى مس كينونتهم الانسانية مع الاسف ، وتنصبّ على قضايا عرضية.. كلمة او مقطع ، او بحر الخ .. اما نظرة هذا الاديب الى قضايا الحياة والانسانية ، وهل وفق في التعبير عنها ؟ وهل كان « ملتزمـاً عصرياً » في ادبه .. فهذه قضايا بعيدة عن متناول المعلقين .

هناك المحطاط في قصيدة نزار قباني « الى أجيرة » مثلاً ، ولكن اين هو المعلق الذي يرى في انحطاط تلك القصيدة ، انحطاطاً للارستقراطية العربية المتنعمة ، وكم من فكرة ستطل لو تناولنـا الادب المنحط ، الذي يحط من قيمة المرأة مثلاً ككيان انساني رفيع لا يراه البعض الا « اوعية للشهوات » ، لو ابتدأنا من تلك الركيزة، ومن غيرها من الركائز التي تمد جذورها في اعماق الحياة . وعلام تختفي مثل هذه اللمحات عن اولئك الذين لا نشك انهم صاحبوا المؤلفات التي واكبت الحياة الانسانية منذ بدء التاريخ؟ ليس بين الآراء اذن صراع حقيقي ، بل تنافر ، ليس بين الآراء صراع يتعلق بين مذاهب شاملة ، متعمقة تبغي الغلبة على معايير متحجرة تحطاهـا التطور التاريخي ، وتمرد عليها الانسان الواعي اجتماعياً . والذي هو بهذه الصفة يكتسب اعلى درجات الحرية المطابقة لذلك الظرف التاريخي المتطور بل هناك ، وللمرة الثانية ، تنافر .

ومن هذه النقطة بالذات ستتلمس خطوط قضية اخرى .. هي المأساة التي يتخبط بها الشعر الملتزم المصري الحديث ، هـذه الخطوط التي حبك نسيجها هذا التقليد الاعمى للشعر العراقي الملتزم الحديث .. والعلة في ذلك ان الشعر الملتزم المصري – اذا استثنينا قصيدة «من اب مصري الى الرئيس ترومان» ونماذج اخرى قليلة – لم يستمد تجربته بصورة عفوية حية، ولم يهتد بنمط خاص من تفكير جدلي حي ، وثقافة موضوعية خالصة، بل لم يرتكز الى نظرية ظرفية في علم جمال او نقد ادبي ... موضوعاته سامية واتجاهاته نبيلة ، اما التعبير عنها فهزيل تافه لا يتمتع بادنى حظ من انفعال جمالي او احساس فني او خيال يقظ . ولهذا بوغتنا بخيبة امل من كاتب مصري نحترمه وسنظل من المعجبين بتفكيره على الدوام هو الاستاذ محمود امين العالم الذي وضع شاعراً مصرياً مبدعاً (الفيتوري) على الهامش ، وراح يضفي قيم الشعر العراقي الحديث الملتزم على نماذج ادبية اعيد الفن الشعري الحديث منها. مقدمة لا بد منها لاقف مع الاستاذ انور المعداوي على صعيد واحد في الرأي بالرغم من اختلافات اتجاهاته وقيمه عن اتجاهاتي وقيمي، فقد اعجبني بحق تفريقه بين كلمة ادب،وبين كلمة ملتزم ، لان الادب تعبير،والالتزام اتجاه . واعجبتني التفاتته الى (فردية) الالتزام ... اي يجب ان نسمع لكل شاعر ملتزم صوته الداخلي الخاص . ينبغي للواقع – كما يقول غوته– ان يقدم الباعث ، نقطة الانطلاق النواة لا اكثر، ولكن الشعر هو الذي يجب ان يشكل منها كلاً جميلاً حياً » . او كما يقول الشاعر الفرنسي بول ايلوار : « واذا لم يشرب العالم الحقيقي رأس الشاعر فانه لن يستطيع ان يقدم للعالم الا اشياء مجردة مبهمة ، واحلاماً ناقصة ، ومعتقدات لا يقرها الصواب ، وان الشاعر يمزج احساسه ، مخيلته ، بهذا العالم الذي ينبغي له ان يتغلب عليه ويبدل صورته » .

ابتداء من هذه الكلمات التي لا يمكن ان نعتبرها تحديداً نهائياً لوظيفة الشاعر الاجتماعي وطريقته ، نستطيع ان نقرأ نماذج شعرية واقعية ملتزمة لدى لوركا في رمزيته الغارقة في الضباب ومن يقول ان قصيـدته الموشحة بأعمق الرموز :

(Ballad of the spanish civil guard)

لا تستوحي واقع المضطهدين المرير ، وعلى هذه الصورة ايضاً نستطيع ان نقرأ ديوان (عيون ألزا) لاراكون ، وكل ما كتبه ناظم حكمت هذا الانسان البسيط في ارقى اشعاره . اقول نقرأ ذلك فنشعر بحركة الواقع الحي ، وبوهج الفن يلفح وجوهنا .

هذه حقائق هجست في نفوس شعراء عراقيين منذ زمن بعيد،وعاشوها.

ولكن من هم الذين صنعوا مأساة الشعر الملتزم الحديث ؟

أيكون الشاعر المبدع الاستاذ بدر شاكر السياب احد هؤلاء الصناع؟ انني اربأ بأي مثقف ان يقول مثل ذلك ... ومهما يكن فنحن نطـالب (بنماذج الشعر الذي اصبحت لغته اشبه بلغة البرقيات)ونلح في طلبها .. فلعلنا نصل عن هذا السبيل الى ايجاد حل لظاهرة ادبية بدأت تستعصي وتهدد . والى جميع من وردت اسماؤهم في تعليقي هذا حبي وتقديري.

بغداد **« كاظم »**

***

النرجسية ...

نستطيع أن نتصفح (المحاكمة) لكافكا ثم نجتذب مئة شاهدة تدل بمرض البطل بالسوداوية أو الخبل ، ونستطيع ان نقرأ (الغريب) لكامو .. ونقرر بالمثل ، بشواهد وإثباتات على ان البطل (نورستاني) مريض ..

نستطيع ان نقرر هذه المفهومات ، ولكننا نسقط في قصر النظر الذي يحتمه فصل المدلول العام للرواية الميتافيزيكية عن الأحداث الشخصية التي تتفرد بها الرواية العادية ؛ (فالغريب) شخصية ممتعة لانسان سقط في الكون بلا داع ، وبلا إدراك .. والعبث الذي يسيطر على افعاله ، وظروفه التي تأتي نتيجة لسلسلة من المصادفات المحيرة ، إنما تؤكد معنى إنسانياً يهدف له (كامو) ويصر بابرازه .. فانسانه عام ، وهو ليس (مرسو) .. إنما هو البشر بشكل كلي : حسين وسوزوكي .. روبير وفريتز ... إنمـا لا تعنينا امراض البطل الشخصية ، فهي لا تؤدي دورها إلا لزيادة الحبكة ، وزيادة غوصها في الواقع .. إنها قضية الرواية الميتافيزيكية .. لا التحليل النفسي لواحد من ابطال القصة ، بقضيته الفردية ، وظروفه الشخصية ...

أكد الأستاذ « نجيب سرور» ان النرجسية مرض اصيب به بطل القصة. وهيأ إثباتات طيبة في بحثه ، ونحن نقر بصواب حججه ، كما نقر لحجة ناقـد يؤكد سوداوية (كافكا) .. ولكن ..!! اكان جهد (كافكا) –خلال

نفسية (جوزف . ك) – ان يبرز لنا مرض البطل بالسوداوية .. ام انه دفع في وعينا – عن مقصد وتدبير – لادراك العبث والسخف المجسمين في الكون .؟!

لقد خرج الاستاذ « نجيب سرور » من التقرير العام لواقع (الحي اللاتيني) إلى الحكم النفسي غير الناضج لمن تستهويهم مقررات (فرويد) و (يونج) ...

إن (هو) يمثل الانسان الشرقي العام .. والذي رفض واقعه المرير الموحل ، والذي حطمته التقاليد والافكار المطبوخة ، والتقريرات المسبقة، والذي كاد بحق ان ينفلت من الخط المرسوم له بدقة ... كاد ..!!

إن بطل (الحي اللاتيني) إنسان عام يصور الشرقي الحالم والذي يربكه التحرر العظيم للعقلية الغربية .. وهو الذي عاش عمره امتداداً لأفكار أبيه وأجداده ... وأمه ..!!

ثم يأتي ناقد ما .. ويقرر بمنتهى البساطة – وبشواهد – ان بطل القصة مصاب بالأوديبية .. أو النرجسية ..

تصوروا لو كان النقاد قد اتفقت كلمتهم على خبل « الدون كيشوت » ومرضه النفسي كانسان واحد منفرد .. ولم يضمنوه النظرة العامة التي اخذت على فرسان ذلك العصر بصفة إجمالية .؟!

إننا نخلط بين الرواية العادية ، التي تحكي واقع إنسان فرد ، وبين الهدف الفلسفي التي تجنح له الرواية الميتافيزيكية ..

نخلط بين (ماكار الكسيفتش)[1] الذي ليس إلا (ماكار ..) وبين (روكانتان) ٢ الذي هو أنت وانا وهم .. وهن ..

وخلة ما كانت تجتذب (روكانتان) كانسان فرد لا نشترك كلنا بحيازتها .. وهي انه كان مغرماً بالملاحظة ، فهو يدقق .. بنظر ثاقب في كل شيء .. ويسلك مسلك المجانين .. ، وقد نعتبر هذا مرضاً كالنرجسية، ولكننا لا نرهق انفسنا باجتذاب الادلة كي نقرر هذا التقرير .. ، فهذه الخلة متفردة في (روكانتان) ولكنها ليست ملموسة في كل فرد .. و (روكانتان) هو كل فرد ..

ليس للناقد ان يحكم على البطل في رواية ميتافيزيكية ، بأمراض البطل الشخصية العصابية أو الباطنية، فهو ينزلق في المهاوي التي اسفت بنقد القرن التاسع عشر المرتبط بالسايكولوجيا ارتباطاً عنيفاً ..

النرجسية مرض البطل ... شيء عظيم !!

ولكن .!! اهي مرض العصر . ؟ !!

إن القلق يغرينا ، ووضعيتنا عجيبة بين كل هذه القيم التي ندوربسياقها (والتي عرضها لنا الحي اللاتيني) .. ويأتي واحد ... !

فرق بين ان ندبر الخطط للايقاع بنفسية البطل ، وبين ان نتدبر النقد للايقاع بأدب امة ... !

القاهرة — **محي الدين محمد**

***

حول « الى اجيرة »

طلع علينا عدد آذار من « الآداب » ، فاذا به يحمل رأيين متناقضين حول قصيدة « إلى اجيرة » للشاعر نزار قباني ، أحدهما للاستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد ، وهو ما أقره وأصوبه ، والآخر للاستاذ محمد أديب العامري ، وهو ما أقف عنده وقفه التأمل والنظر .

فاما ما ذهب اليه الاستاذ العامري من ضرورة الالتزام في الادب فذلك ما آخذ به وأدعو اليه ، وأرى انه خير ما قدمه لنا في تعليقه العميق الرائع ، المشحون بالثقافة الادبية الصحيحة .

وأما ما ذهب اليه من أن القصيدة ليست من الادب الملتزم ، فذلك ما اخالفه فيه ، وأرى أنه قد ناقش القصيدة على اساس الارقام الحسابية ، لا على ما توحي به في جملتها من الثورة الصارخة على هذا النظام الاجتماعي العفن الذي جعل من رب المال مستعبداً ومن ربة الجمال عبداً ، حتى ان الشاعر نفسه قد ثار على هذا الوضع الزري فصب على المرأة المسكينة شتائمه حين استعبدها بتحفه وهداياه ، فباعت عرضها بدراهمه واستكانت له صاغرة ذليلة ، فدفعت اليه ما يبغي من متعة الجسد . واحس هو إحساساً مبهماً بأنه لم ينل منها ما يريد من الحب الصادق ، فانتفض غاضباً لخسارته دراهمه الذاهبة اجرة لمتعة جسدية عابرة . وكأني به قد اراد التعبير عن خيبته في الوصول الى نفس هذه المرأة عن طريق المال والنفائس ، بعد عجزه عن بلوغ ذلك بالعواطف الشريفة ، فاذا به يحاول تغطية هذا كله بهذه النقمة العارمة في كلامه الأخير : ردي فلست اطيق حسناً لا يرد شتائمي .

وواضح تماماً ان الحس النفسي العاطفي ما كان ليهوي إلى حمأة رذالشتائم وان ما رآه الشاعر ثمناً لدراهم إنما هو الحسن الجامد المتبلد ولذلك انقلب نادباً يعزي نفسه بقوله : مسكينة لم يبق شيء منك منذ استعبدتك دراهمي .

وبعد فقد فهمت انا من القصيدة انها تهدف الى تصوير نفسية العربيد الفاجر الذي فقد الاحساس بالعواطف الصادقة ولم يستطع تطويعها في ميدان الحب الشريف ، فلجأ الى دراهم يستعينها على تحطيم عزة النفس في امرأة اذلتها الحاجة في هذا المجتمع الفاسد . فلما وجد نفسه امام حطام جسدي لا روح فيه شعر بفشله الذريع فاغتاظ وهاج وتبجح بما نال لما اصابه هو من المذلة والهوان .

اما المرأة فقد صورتها القصيدة ، انسانة لم تفلح في اصطياد نفسها كلمات الرجل المسولة والفاظه الكاذبة ، فلما استضعفها بالمال استحالت جسداً ميتاً لا كرامة له .

ولعمري ان هاتين الصورتين حين قدمتا الينا في ذلك الاطار الشعري الرائع لتضجان بالنقمة على هذا المجتمع الذي تسقط فيه القيم الانسانية ، فيعمد المتمول العربيد إلىسترنقائصه وتحقيق سقوطه الخلقي بالمال. وتذهب المرأة الغريرة ضحية الحاجة والاعواز .

ومهما يكن فان قارىء القصيدة يخرج منها حتماً باحتقار المستأجر وتجربة الايجار نفسها ، كما احس الاستاذ العامري بالضبط ، اما الاجيرة فقد يضيف إلى احتقارها شيئاً من العطف والاعتذار بالفاقة والضعف الاجتماعي الذي اوردها هذا السبيل ، وقد ينقم لذلك على هذا المجتمع الظالم . او ليست هذه المعاني والايحاآت كلها كافية لجعل هذه القصيدة من الادب الملتزم ؟

بيرزيت – الاردن — **ندى كيالي**

---

١ بطل (المساكين) لدوستويفسكي

٢ بطل (الغثيان) لجان بول سارتر